

2015

آليات التدبير المخزني لسوس الأقصى نهاية القرن التاسع (عشر 1873-1894م/1290-1311هـ)

لطيفة حسيني

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [Social History Commons](#)

Recommended Citation

لحسيني, لطيفة (2015) "آليات التدبير المخزني لسوس الأقصى نهاية القرن التاسع عشر
(عشر 1873-1894م/1290-1311هـ)," *Dirassat*: Vol. 18 : No. 18 , Article 2.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol18/iss18/2>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

آليات التدبير المخزني لسوس الأقصى نهاية القرن التاسع عشر (1873-1894م/1290-1311هـ)

لطيفة لحسيني¹

طالبة باحثة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن زهر، أكادير

تقديم:

يرتبط موضوع هذه المساهمة بأهم التدابير المخزنية للخروج من الأزمة السياسية والاقتصادية التي عرفها المغرب نهاية القرن التاسع عشر. وتحديدًا علاقة المركز ممثلًا بالمخزن الحسني (1873-1894م) بمحيطه البعيد ممثلًا في سوس الأقصى الذي يحدد تاريخيًا بما وراء واد ولغاس إلى الساقية الحمراء وقد يمتد أحيانًا إلى ما وراء ذلك. والآليات التي اعتمدها المخزن لرسم أسس تلك العلاقة، وخصوصيتها نهاية القرن التاسع عشر بعد أن تحولت علاقة المخزن بممثلي القبائل من دور بروتوكولي إلى دور تمثيلي، إذ عمل على تحويل المشيخة إلى قيادة كاستراتيجية يروم بها الضبط الاجتماعي والسياسي لمجال سوس الأقصى باعتماد آليتين: آلية الإدماج والاحتواء لعناصره الفاعلة، وازدواجية التدبير المخزني للمجال بين الحضور الرمزي والمادي، وبين المركزي والمحلي.

السياسة القيدوية أساس الإصلاح الإداري بسوس الأقصى:

قام المولى الحسن نهاية القرن التاسع عشر بزيارة إلى القطر السوسي، لمد نفوذ المخزن على مناطق "كان أهلها قد بعد عهدهم بإجراء الأحكام السلطانية فيما بينهم على مقتضياتها"² لمدة تزيد عن الستين سنة³، مما اقتضى تجديد العهد بها من خلال تنظيم حركتين إليها، رسم أثناءهما الخطوط العريضة لسياسته الإصلاحية بسوس، وخاصة منها

1 - تحت إشراف الأستاذ شفيق أرفاك

2 - الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج9، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1956، ص: 175.

3 - تأكيد الناصري على عدم خضوع سوس للمخزن يحتاج إلى وقفة لكون أن العلاقات بين المخزن وقائده على سوس محمد بن حمو التامنارتي لم تنقطع إلى حدود 1851/1268 حسب الوثائق المتوفرة وهو ما ذهب إليه أرفاك شفيق في أطروحته "قيادة تمنارت بين التزام المحيط القبلي والسلطة المخزنية (1110-1352/1706-1934)"، بحث لنيل دكتوراه الدولة، تحت إشراف محمد حمام، كلية الآداب أكادير 2007، (نسخة مرقونة).

المرتبطة بتدعيم الوجود المخزني به والعمل على استمراريته. وذلك أولاً بتقسيم القطر السوسي تقسيماً إدارياً وخلق قاعدتين مخزنتين، قاعدة تزنييت التي عين بها القائد الحاج مسعود الراشدي كبير جيشه خليفة له⁴، وجعلها مركزاً مخزنياً وسط قبائل سوس الأقصى. بل تجاوز نفوذها إلى عمق الصحراء. في حين ظلت تارودانت قاعدة سوس الأدنى تحت إمرة الخليفة المولى عثمان أخ السلطان. كما عين القواد الذين اختارهم من أعيان وشيوخ القبائل، وفي نفس الوقت حدد مهام كل من خليفته بتزنييت والقياد والعلاقات فيما بينهم وبين المخزن المركزي.

أولاً- من المشيخة إلى القيادة:

يعود اختيار هذا التوجه لكون المخزن كان عالماً بدور الشيوخ وسلطتهم القبلية تلك منذ عهد المولى اسماعيل، إذ تتم تركيزهم وتجديد ظهائرهم ممثلين عنه كتقليد مخزني معمول به في رسم علاقة المخزن بمجال بعيد عن سلطته الفعلية. بيد أنه؛ وبعدما كانت إدارة سوس الأقصى من طرف خليفة السلطان بتارودانت، الذي يستعين بحامية عسكرية على تسيير الشؤون المخزنية من جباية الضرائب ومراقبة تحركات شيوخ القبائل المتولين تسيير شؤون جماعتهم اعتماداً على ما درجوا عليه من أعراف؛ أصبح لا بد من تولية قياد من أبناء القبائل وذلك لضمان استمرارية القيادة، بحكم أن القائد في الأصل هو شيخ القبيلة، أو ينتمي إلى أعيان جماعته وكبار قبيلته، مما يضمن استمرارية التواجد المخزني بحكم نفوذ الشيوخ المعنوي والمادي داخل قبائلهم.

لأجل ذلك انتهج المولى الحسن سياسة "مسايرة الواقع بالهوينى"⁵؛ على حد تعبير المؤرخ السوسي؛ ساعده في ذلك علمه بخصوصية مجال سوس وطبيعة علاقته بالمخزن منذ كان خليفة لوالده بمراكش. فأثناء حركته الأولى إلى سوس سنة 1299هـ/1882م "جاء كأنه شيخ من شيوخ الزوايا ملاينة للناس، فلاقاه كل الناس سهلاً وجبلاً بكل إجلال، كما قدم أمامه كل ما يحتاجه جنده ومن معه، فلم يرزأ أحد دانقاً. ثم خير الناس

4 - يعتبر الخليفة ممثلاً شخصياً للسلطان فيما يخص اختصاصاته الدينية كما يعتبر نائباً عنه على المستوى السياسي، إلا أن سلطة الخليفة تظل محدودة مقابل سلطة القائد الواسعة، في حين يكون دائم الإطلاع على الأحوال ومستعداً للتدخل للتحكيم في أي نزاع يمكن أن يحدث على مستوى الإقليم بين السلطات المحلية والقبائل.

5 - السوسي المختار، المعسول، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962، ج 14، ص: 111.

يخضع للمكانة التي يخلقون لأنفسهم بين أعضاء الجماعة، بالإضافة لعوامل أخرى كالنفوذ الروحي والديني والاقتصادي لقبائلهم وليس للاختصاصات الموكولة لهم. مما يدفعنا للتساؤل: من هو القائد الجديد على عهد المولى الحسن؟

أ- القيادة احتواء لتطلعات الأسر التجارية:

تعد أسرة آل بيروك من أهم الأسر التي كان لها صيت كبير بوادي نون، وخصوصا على قبائل لف آيت الجمل، بالإضافة إلى انتمائها لحلف تكزولت إلى جانب دار التمارتين ودار سيدي الحسين بن هاشم التازروالتي¹³؛ فيبيروك أسرة تنتمي لقبيلة آيت موسى أو علي وهي من القبائل المستقرة بوادي نون، استدعى اشتغالها بالتجارة القيام بعمليات "ذبح"¹⁴ واسعة النطاق على آيت لحسن أهم قبائل حلف آيت الجمل، لتفادي الاشتباك معها، وسعيا للحصول على حمايتها العسكرية لمصالحها وقوافلها التجارية. وهذا ما ساهم في خلق شبكة تجارية لهذه القبيلة في شخص أسرة بيروك، ممتدة عبر الصحراء لتصل إلى السودان الغربي، حيث تتم مبادلة منتجات الشمال بأخرى من الجنوب. فشكلت الأسرة قوة اجتماعية واقتصادية مهمتها الخفارة وقاعدتها مركز الكليم.

ويعود نبوغها في شؤون التجارة الصحراوية إلى القرن السابع عشر، حين أحكم "قال عبيد الله أو سالم قبضة أسرة آل بيروك على كليم. واستمرت هذه السيطرة مع أبنائه خاصة منهم بيروك، ثم الحبيب ومن بعده دحمان¹⁵. بيد أنه خلال القرن التاسع عشر وبعد المعاهدة المغربية الانجليزية لسنة 1856م/1272هـ، وبداية تحكم الأوروبيين في التجارة الصحراوية السودانية، سعى آل بيروك نحو خلق تعاون تجاري مباشر مع هؤلاء، خاصة "على عهد لحبيب بن بيروك الذي كان متحمسا لبناء ميناء على مصب وادي أساكا. وقد مهد لذلك ببناء دويرية النصارى المخصصة لاستقبال الأوروبيين ضيوفا كانوا أو أسرى"¹⁶ إلى أن اعتبره الأوروبيون "العاهل المستقل لوادي نون."¹⁷ "دون أن ننسى

¹³ - المعسول، ج 277/19.

¹⁴ - المقصود هنا تقديم الذبيحة "التعريكية" وفق الوسط الصحراوي. راجع المادة بمعلمة المغرب:

المنصور محمد، "مادة التعريكية"، معلمة المغرب، م س، ج 7، ص: 2411.

¹⁵ - Gaudio Attilio, Le dossier du Sahara occidental, Paris, 1978, pp: 50-51

¹⁶ - ناعمي مصطفى، "سياسة رؤساء كنفدرالية تكتة أمام التوسعات التجارية الأوروبية"، البحث العلمي، (مجلة المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط)، العدد 39، السنة 24، 1989، صص: 201-232

¹⁷ - Marty Paul, Les Tekna du Sud-ouest Marocain, Paris, 1914, p : 88

مهام القايـد دحمان بن بيروك:

5

بقي(ت) متحيراً من ذلك²³، مما يعفيه مما قام به أفراد الأسرة الآخرين.

وقد أُنيطت بالقائد الجديد عدة مهام: كان أولاًها إشراكه صحبة الأمناء المغاربة والإسبان في عملية تحديد ومعاينة موقع سانتا كروز دي مار بيكينا Santa cruz de Mar Pequeña في المنطقة الممتدة ما بين مرسى سيدي محمد بن عبد الله وأساكا.²⁴ وكذا مصاحبته لبعثة مخزنية للبحث عن مكان يصلح لبناء المرسى الذي يريد المخزن فتحه بالمنطقة. بالإضافة إلى قيامه بعمليات عسكرية لإعاقة التعامل مع الأجانب بمرسى طرفاية، وتخريب المنشآت المشيدة بعين المكان رغم استماتة الأعراب الذين يتولون حمايتها، إذ "توجه (...) بمن معه من عسكر وغيره إلى مرسى طرفاية بقصد تخريبها وتشيت المتعاملين بها مع النصارى، فأغاروا هنالك على مرابطي الأعراب ونهبوا لهم عددا من الغنم والإبل، وقبضوا على سبعة رجال منهم، فاستغاث المنهوبون بجوارهم من الأعراب فأغاثوهم وتضاربوا، فمات من العسكر رجلا وسبعة أفراس، ودخل العسكر القصة المعدة لاختزان أقواتهم، ومكث فيها أياما وحال الأعراب بينهم وبين المرسى. ولما أيسوا من الوصول إليها رجعوا سالمين، وبقيت المرسى على حالها.²⁵ مما يؤكد اضطراره بحراسة السواحل، وخاصة مرسى أساكا، وإلقاء القبض على التجار الذين يترددون على المنطقة دون إذن المخزن.²⁶

وتُظهر تفاصيل العمليات التي قام بها دحمان في السواحل الجنوبية أن المراقبة كانت صعبة، لكون توقيف ومنع تعامل القبائل مع الأجانب لم يكن أمرا سهلا، بل كان مكلفا للمخزن وكذا ممثليه المحليين، لاصطدامه بمقاومة شديدة من القبائل التي تضررت مصالحها التجارية. وهذا ما جعل المخزن يوكل إليه مهمة تنظيم "العسة"، ومراقبة التحركات الأوروبية على السواحل.²⁷ ومكنه من السلاح للمدافعة على تلك السواحل من أساكا إلى الداخلة، وكل حرسها تحت يده، إلا في أساكا فإنما له نصف حراسته.²⁸ وذلك

23 - رسالة المولى الحسن إلى الطالب لحبيب بن بيروك بتاريخ 1299هـ/1882م وردت بأطروحة ناجيه عمر، م س، ص 341.

24 - دحمان بن بيروك إلى الحسين بن هاشم 10 شوال 1300/15 غشت 1883، و ب.

25 - الإخبار بالواقعة وتفصيلها في رسالة من المولى الحسن إلى محمد بن الحسين هاشم بتاريخ 21 ذي القعدة 1306/19 يوليوز 1889

26 - رسالة من المولى الحسن إلى موسى بن عليات الصبوي، بتاريخ 14 رجب 1300/22 ماي 1883، كناش 370، و خ ح

27 - رسالة من المولى الحسن إلى القائد دحمان بن بيروك بتاريخ رجب 1309/فبراير 1892، كناش 328، و خ ح.

28 - المعسول، ج 19، م س، ص: 279.

ب- من صلاح الصوفي إلى القيادة المخزنية:

7

وكيف استطاع المخزن احتواء تطلعات شيوخها؟

يظهر حجم المراسلات بين المولى الحسن وبين الحسين أوهاشم³⁴ وأسلوب الخطاب الدور والمكانة التي يحظى بها هذا الأخير لدى المخزن. فرغم ما خلفه الماضي من أثر³⁵ إلا أن علاقات الود بينهما مستمرة عبر تقديم الولاء والهدايا. بل استعان به السلطان واستشاره مرارا في نوازل سوس نذكر منها طلب المولى الحسن من خليفته بتزنيث مسعود الراشدي، أن يستعين به بقوله: "واستعن على ذلك بالله وبالمحب السيد الحسين أوهاشم"³⁶ في فض النزاع بين أهل تزنيث وأهل المعدر مما شكل اعترافا مخزنيا بتأثيره المحلي.

مهام القائد محمد بن الحسين أوهاشم:

من المؤكد أن دور الإخبار من أهم الأدوار التي كانت تقوم بها دار إيليج، فقد كانت عينا المخزن على سوس الأقصى، من خلال حجم المراسلات التي تهم الإعلام بمواضيع مختلفة بين المخزن والحسين أوهاشم الذي لم يغيب خبرا. وهذا ما جعل المخزن يؤكد على نفس الدور لابنه بقوله: "واستغرينا عدم إعلامك به، إذ من المتعين عليك في مثل ذلك الإعلام به قبل كل واحد، اقتداء بوالدك رحمه الله، فقد كان يعلم بالشأدة والفائدة من أخبار تلكم النواحي، ويقبض على الجواسيس الذين يخطرون بها، ويوجههم لحضرتنا الشريفة كما في علمك، مع أنه كان غير مكلف هنالك من قبل المخزن".³⁷

ولعل هذا التنبيه من طرف المخزن لقائده لا يعني أنه تخلى عن هذا الدور، بل كان يقوم به على أحسن وجه؛ إذ بلغ مجال تغطيته "أخبار السودان (...)" وورود الخديم ابن بيروك وأهل الزوافيط،³⁸ وكذا أوضاع أهل تكنة والأخصاص وأيت باعمران.³⁹ مما يوضح أن مجال نفوذه شامل لسوس الأقصى وحتى السودان. وفي المقابل كان المخزن يعلم قائده بتحركاته ونواياه من حركته، لكي يكون على أتم استعداد لتجديد العهد بهم،

34 - تقريرا 121 مراسلة أكثرها للحسين أوهاشم رغم العلاقة المتأزمة بينه وبين المولى الحسن منذ الحركة الأولى عندما كان خليفة والده على سوس.

35 - وقعت اصطدامات بين الطرفين مرتين على الأقل حين كان المولى الحسن وليا للعهد.

36 - رسالة من المولى الحسن إلى مسعود الراشدي بتاريخ 23 شوال 1300/27 غشت 1883، كناش 371، وخ ح.

37 - رسالة من المولى الحسن إلى محمد بن الحسين أوهاشم بتاريخ فاتح رجب 1304/26 ماي 1887، وثائق البخاري.

38 - من المولى الحسن إلى القائد محمد بن الحسين أوهاشم بتاريخ 4 ربيع الأول عام 18/1038 أكتوبر 1890، و ب.

39 - من المولى الحسن إلى القائد محمد بن الحسين أوهاشم بتاريخ 3 رجب عام 12/1308 فبراير 1891، و ب.

والنظر في أمورهم. وأداء ما يجب لهم عليه من الحقوق. وإصلاح شؤونهم. مخاطبا إياه بقوله "فأنمركم أن تتأهبوا كما يجب عليكم لملاقاة ركبنا السعيد في أحسن زي وأكملته، مصحوبين ببقهائكم وشرفائكم ومرابطيكم وأعيانكم، ومن هو من ذوي الفضل وأهله، والله سبحانه يجدد المقاصد، ويبلغ المراد من هاتيك المراسد.⁴⁰

وكذا الاهتمام بمراقبة السواحل السوسية وتحركات السفن الأجنبية بها، مما جعل المخزن يصدر أوامره "لعمال قبائل المراسي السوسية الساحلية؛ ومنهم الحسين أواشم؛ المكلفين بعساتها بأن يصرفوا بالهم لضبط أمرها، وتقويم عددها، وانتخاب رجالها، والقيام على ساق الجد فيها، وأن يجعلوا ذلك أكبر همهم".⁴¹ وقد كان له رأي بـ"أن أمر "العسة" في تلك السواحل انقطعت مادتها، وأن أمرها لا ينضبط إلا باختلاط العسكر مع القبائل، ومنبها على تنفيذ المؤونة لهم على غير يد عمالهم، ليتوصل كل بمؤونته".⁴² وفعلا أخذ السلطان بهذا الرأي، وأمر صاحبه بالوقوف معهم على ذلك حتى ينفذ مقترحه بإدماج العسكر المخزني بعسكر القبائل، كما هو مبين في الجدول التالي⁴³:

المراسي	عدد أفراد العسكر المخزني	عدد أفراد العسة التي شارك بها القواد
اكلو	20 فردا	عامل اكلو 20 فردا
سيدي محمد بن عبد الله	20 فردا	القائد ابراهيم 10 أفراد القائد أحسون 10 أفراد
ايفني	20 فردا	القائد ابن سعيد 10 أفراد القائد ابراهيم 10 أفراد
اركسيس	20 فردا	القائد ابن سعيد 10 أفراد القائد الصبويي 10 أفراد

40 - رسالة من المولى الحسن بتاريخ 14 جمادى الثانية عام 1303/20 مارس 1886، و ب.

41 - رسالة من المولى الحسن إلى محمد بن الحسين أواشم بتاريخ 8 ربيع الثاني 1309/11 نونبر 1891، و ب.

42 - من المولى الحسن إلى القائد محمد بن الحسين أواشم بتاريخ 25 صفر الخير 1310/28 غشت 1894، م ب.

43 - بطرة نفس الرسالة بتاريخ 25 صفر الخير 1310/28 غشت 1894، و ب.

ولعل تدخله في تنظيم الحراسة وصرف المؤونة للحراس على غير يد عمالهم، دليل على خلل في تنظيم وتسيير الحراسة، ومرد ذلك إلى سوء تدبير العمال واستغلال لنفوذهم. مما يجعلنا نطرح تساؤلاً ما مدى نجاح الإصلاح على أرض الواقع، إذا كان تصور المخزن للإصلاح والإجراءات المخزنية يصطدم بصعوبة التطبيق على أرض الواقع.

بالإضافة لتلك المهام كان محمد بن الحسين أوهاشم يقوم بالإخبار بالنزاعات بين القبائل ويتدخل لإصلاح ذات البين.⁴⁴ من "رفع أولاد دليم أيديهم عن أولاد تدررين، بعد أن كانوا يقبضون منهم ناقة للخيمة كل عام، وأنهم دفعوا دية المقتول من الركيات، واصطلحوا الاصطلاح التام".⁴⁵ وشكلت مسألة العينة أهم الصراعات حول السلطة بين تزنيث واكلو وإيلغ. والتي أظهرت مدى قوة المركز الجديد. خاصة أن الصراع كان قد تحول إلى صراع لفي بين تكزولت في شخص إيلغ وقائد اكلو، وتحكات في شخص تزنيث، والمناوئين لها: اداوابعيل وأولاد جرار، ذلك أن المخزن انحاز إلى جانب رأي قائده وأصدر أوامر توافق رغبة إيلغ منها قوله "وعلمنا ما طلبته من إصدار شريف أمرنا لأهل اكلو وتزنيث بأن يتركوا كلام أهل العينة حتى يظهر ما يكون فيه لأجل ما شرحتة (...). وأما أهل العينة فقد أمرنا عامل اكلو وعاملي تزنيث بأن يتركوا الكلام فيهم، حتى يظهر ما يكون في أمرهم".⁴⁶ وهكذا كتب المخزن لقواده المتدخلين في المسألة "بالكف عن أهل العينة، وقد فرحوا غاية الفرح بقراءته على الخاصة والعامة حسبما اقتضاه نظرك. وأشرت إلى أنه إن عرض لعلي جنابنا كتابة في مثل هذا، توجه ليد خديمتنا الطالب عبد القادر الزراوي وللمعين بقصة آيت بو عمران، ويفرق المكاتب على يده، ويفشي ذلك الغرض الذي يبين له، حتى لا يخفى على أحد من العامة، وصرنا من ذلك

44 - ماوقع بين الاخصاص وآيت احمد من تكتة. رسالة من المولى الحسن إلى محمد بن الحسين أهاشم بتاريخ 7 ربيع الثاني 1306. و ب.

45 - من المولى الحسن إلى القائد محمد بن الحسين أهاشم بتاريخ 24 شعبان 15/1307 ابريل 1890، و ب.

46 - من المولى الحسن إلى القائد محمد بن الحسين أهاشم بتاريخ 18 ربيع الثاني عام 12/1307 جنبر 1889. و ب.

لامركزية التمثيل المخزني بسوس الأقصى:

47- من المولى الحسن إلى القائد محمد بن الحسين أهاشم بتاريخ 19 رجب عام 1307/11 مارس 1890، و ب.
48- من المولى الحسن إلى القائد محمد بن الحسين أهاشم بتاريخ 26 شوال الأبرك 1301/19 غشت 1884، و ب.
49- عياش جرماني، دراسات في تاريخ المغرب، م س، محور الوظيفة التحكيمية للمخزن، ص 154
50- من المولى الحسن إلى محمد بن الحسين أهاشم بتاريخ فاتح رجب عام 1305/14 مارس 1888، و ب.
51- من المولى الحسن إلى محمد أحسون التزني بتاريخ 12 شوال 1305/22 يونيو 1888، و ب.

تعرف "دار المخزن القديمة"، وسيتراجع دورها السياسي بحكم تقلص نفوذ المخزن على أطرافه، لتعود إلى مسرح الأحداث السياسية والتاريخية للجنوب المغربي مع بداية الحركة الأولى للمولى الحسن؛ بعدما "أمر بإصلاح دار المخزن بتزنيت، ونصب قائدا من قواد جيشه المظفر، وأقامه بقصبة تزنيت بقصد أن يكون إعانة لسائر عمال ذلك القطر السوسي من وادي ولغاس إلى منتهى وادي نول وكلميم، يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات، ولاسيما إذا كان المخزن بعيدا".⁵² فارتقت بذلك من بلدة صغيرة، و"تجمع لقرى آيت محمد، ادزكري، إضلحا، اداواكفا"⁵³ التي "لم يستدر بها إذ ذاك إلا سياج قصير من الطوب، كالذي يستدير بالبساتين عادة"،⁵⁴ إلى مركز مخزني مؤثر في أحداث الجنوب المغربي نهاية القرن التاسع عشر. فكيف تم تجسيد ذلك على أرض الواقع؟ ولماذا تم اختيار موقع تزنيت تحديدا ليكون مركزا مخزنيا؟ وما هي المهام التي أنيطت بالمركز الجديد والقائمين عليه؟

1- لماذا مركز تزنيت؟

إن أول تساؤل يطرح في إطار البحث في سياسة المخزن الحسني بسوس من أجل تركيز تواجده الإداري به، هو ما الباعث وراء اختيار تزنيت لتكون مركزا مخزنيا عدا كونها كانت كذلك منذ القديم؟ وهل اختيارها ساهم فعلا في تحقيق مرامي الإصلاح المخزني بسوس؟

إن موقع تزنيت المتميز وسط قبائل أزغار التي تعد قبائل عبور بين سوس الأدنى وتازروالت ووادي نون، جعل أمر اختيارها أن تكون مركزا مخزنيا ليس خيارا اعتباطيا، بل من أجل التحكم في مجالات ثلاث خلقت للمخزن متاعب كثيرة طيلة القرن التاسع عشر. مع العلم أنه وإلى حين الحركة الأولى للمولى الحسن، وتزنيت وسوس الأقصى يخضعان للقياد المخزنيين المعيّنين أساسا في تارودانت خضوعا شكليا فقط، وبالتالي فترقية تزنيت إلى دار للمخزن، جاء لتخفيف العبء عن تارودانت من جهة، ولتضطلع

⁵² - الإتحاف ج 2، ص: 210-211.

⁵³ - بيضا جامع، "تاريخ منطقة سوس من خلال الارشيف الدبلوماسي بنات: نموذج منوغرافية أهل تزنيت للقبطان دولاواسير"، ضمن ندوة تزنيت وباديتها في الذاكرة التاريخية والمجال والثقافة، صص 15-22.

⁵⁴ - إيليج قديما وحديثا، م س، ص: 241.

13

تزينت وبناء السور، بل اقترح على السلطان ضرورة التراجع عن مشروع التحصين، و"عرض عليه تخوفه من تمرد سكانها عند تحصينهم داخلها،"⁵⁶ بل أكثر من ذلك اقترح أن يكون مركز سوس الأقصى بأيت باعمران، وسوس الأدنى عاصمته تارودانت.⁵⁷ إلا أن أهداف المخزن كانت أكبر من ذلك فمضى في تحقيق مشروعه بعدما وفر جميع الإمكانيات المادية لبنائه.

2- الإدارة المحلية بتزنيث:

إن أول أمر قام به المولى الحسن بعدما "ولى على كل قبيلة عمالا يضبطون أمرها بكلمته ويدافعون عنها بسطوته،"⁵⁸ أن "نصب قائدا من قواد جيشه المظفر، وأقامه بقصبة تزنيث، بقصد أن يكون إعانة لسائر عمال ذلك القطر السوسي، من وادي ولغاس إلى منتهى وادي نول وكلميم، يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات، ولا سيما إذا كان المخزن بعيدا."⁵⁹ فشكل بذلك أول إجراء إداري قام به، وهو تعيين مسعود الراشدي خليفة له بتزنيث، كما حدد مهامه وسط قياد قبائل جزولة، فجعله مستشارا لهم فيما "تدعو الضرورة إليه وتتوقف الأوامر المخزنية عليه"⁶⁰ على أن لا يتدخل فيما يخص العمال، فهم مستقلون في أمورهم أو مصالح قبائلهم التي لا واسطة فيها بينهم وبين المخزن المركزي. كما حدد منطقة نفوذه من وادي ولغاس إلى منتهى وادي نول وكلميم، وفي ذلك ربط تلك المناطق بالمركز المخزني المحلي الحديث العهد، وبالتالي بسط نفوذ المخزن على مجال كان بعيد المنال من قبل. فهل تعيين مسعود الراشدي سيكون اختيارا موفقا وسط قبائل جزولة وحلف تكزولت؟ وهل ستقبل القبائل البعيدة عن تزنيث مثل أيت باعمران ووادي نون الخضوع لنفوذه، وقبول وساطته مع المخزن المركزي؟ وهل سيستطيع استيعاب التحالفات القبلية؟

56 - رسالة من المولى الحسن إلى الحسين أهاشم بتاريخ 30 غشت 1883م/ 26 شوال 1300هـ، وب.
57 - من الحسن الأول إلى الحسين أهاشم بتاريخ 9 شتنبر 1883/ 7 ذي القعدة 1300. وردت عند بومزكو احمد،
تزينت والمخزن، المناهل، عدد 58، 1998، ص: 114.

58 - وثيقة متضمنة بالملحق، ورد نصها في: الإتحاف، ج 2، صص: 211-212 وعند المحمدي علي، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: المجتمع الباعمراني وعلاقته بالمخزن 1786-1894، بحث د د ع، إشراف جرمان عياش، 1985. مع اختلاف في أسماء الموقعين عليها من القواد.

59 - الإتحاف ج 2، صص: 210-211.

60 - نفسه

15

حاميات عسكرية وأصبحت المركز الإداري والعسكري لسوس، بل القاعدة الثانية بعد تارودانت.

وهكذا أسند إلى القائد على تزنييت تسيير شؤون القبيلة وتطبيق الأوامر المخزنية بخصوص بناء السور، كما أوكلت إليه مهمة الاطلاع على الأمور التنظيمية والتقنية لبنائه تحت وصاية مسعود الراشدي. فكان طلب حاجيات المركز المخزني الجديد تتم منهما معا، من مؤونة عسكر الحامية العسكرية، التي أبقيت بتزنييت لتعزيز نفوذ المركز الجديد والخليفة به، وصوائر بناء السور، من أمناء الصويرة. ويتضح ذلك من المراسلات المتبادلة بين الطرفين، وبين المخزن وأمناء الصويرة إذ كان طلب المؤونة والتموين مثلا يتم منهما في نفس الوقت، ففي رسالة جوابية من السلطان لأمناء الصويرة نجد أن الخديم "أبي مسعود الراشدي والقائد محمد أحسون التزنييتي وجها (لكم) قائمة مشتملة على بيان أسامي المائة من العسكر التي استخلفاها، وطلبا منكم توجيه المؤونة والكسوة لهم، فوجهتم لهما مائة كسوة عسكرية، ومؤونة خمسة عشر يوما، بحساب ثلاث أواقي وموزونتين في اليوم الواحد، بما تروج به السكة بسوس، وهو أربع أواق للدرهم وصار بالبال. فكونوا توجهون لهم ذلك قراريط. وكذلك أجرة البنائين للسور بتزنييت، فإن المحل المذكور منبعا، وعليها كثر المرور والاستعمال عند أهلها."⁶⁸ فبقراءة مضمون هذه المراسلة يجعلنا نستخلص عدة أمور إدارية وتنظيمية في علاقة المركز الجديد، والقائمين عليه من جهاز إداري محلي بالمخزن المركزي منها:

. أن التكليف بشؤون المركز الجديد كان تكليفا ثنائيا لكل من الخليفة مسعود الراشدي والقائد محمد أحسون التزنييتي. وأن تموين إدارة وتنظيم المركز المخزني كان من الصويرة، وفي ذلك إعادة ربط سوس الأقصى بمرسى الصويرة من الناحية المالية والإدارية، وهو ما تعكسه مظان المراسلات من القيادة بتزنييت إلى أمناء الصويرة، ومن هؤلاء إلى المخزن المركزي.

. أن مؤونة عسكر تزنييت من كسوة ومؤونة يستوفونها كل خمسة عشر يوما عن

⁶⁸ - رسالة من المولى الحسن إلى أمناء الصويرة بتاريخ 28 شوال 1/1300 شتنبر 1883، كناش 117، ص 18، و خ ح.

تستوفى أجرة البنائين لسور تزئيت أيضا من أمناء الصورة، وهي كذلك بحسب ما تروج به السكة بسوس.

وهكذا يمكن اعتماد هذه الوثيقة نموذجاً لمثيلاتها التي توضح أسس التنظيم الإداري والعسكري بترتيب تحت قيادة الخليفة والقائد بها. في المقابل نجد أن القائد يقوم بإعلام المخزن "باللحاج الواقع بين المعلمين للواحين، وبين الخديم الحاج مسعود والأمين الحاج المحبوب على قِبَل الأجرة، وامتناع المعلمين من المحاسبة ذاكرين أنهم لا يقبضون إلا خمس عشرة أوقية"⁶⁹ وأن المخزن من يحدد "ما يكون عليه العمل في أجرتهم (...). فالخمس عشرة أوقية إنما جعلت لهم أيام الخدمة وأما في أيام البطالة، فلم يجعل لهم إلا نصفها. وأما أهل البلد إن خدموا فلكل واحد في أجرته ثلاث أواقي وثمانية أفلس بصرف سوس، وإذا لم تكن خدمة فلا أجرة لهم".⁷⁰ وأنه أعلم بذلك الحاج مسعود وأمين البناء. مما يوضح ذلك التداخل في اختصاصات أطراف المخزن المحلي والتنازع حولها، ورفع ذلك كله إلى السلطان للاطلاع والبت في المستجدات. فنجد أن مسعود الراشدي يتدخل في أشغال البناء وأجرة القائمين عليه من معلمين وأمناء، مما استوجب توضيح كيف يكون عليه أمر الأجور أيام العمل وأيام البطالة، سواء بالنسبة للمعلمين أو العمال من أهل البلد، مع التركيز على أن الأجور تُحصل بحسب صرف سوس، مما يؤكد الاختلاف بين صرف سوس وصرف المناطق الأخرى.⁷¹

من خلال ما سبق نلاحظ أن المشروع الإصلاحي الذي تبناه المولى الحسن بسوس، والذي ارتبط أساسا بالوضع السياسي الخارجي لسوس خاصة والمغرب عامة، كان لا بد له من تمويل، لكل تلك المشاريع التي تمت انطلاقتها خلال الحركة الأولى والثانية، من بناء سور تزنييت ورواتب الجند والمحلات التي استقرت بتزنييت وآيت باعمران، بالإضافة إلى تنظيم "العسة" على السواحل الجنوبية وترتيبها بإشراك القبائل فيها. وهكذا تحولت

69- إلى القائد محمد أحسون الترنيتي، بتاريخ 9 جمادى الثانية عام 1301/6 ابريل 1884، و خ ج.

70 - إلى القائد محمد أحسون الترنيتي، بتاريخ 9 جمادى الثانية عام 1301/6 أبريل 1884، و خ.ح.

71 - الرجوع إلى أفا عمر ، مسألة النقود...، لفهم أسباب ذلك الاختلاف وكيف تم تجاوزه، وهل تم تجاوزه فعلاً.

الصورة إلى مركز مالي لتنفيذ عمليات المخزن بسوس، وذلك بتوظيف مداخل أمناء الصورة لذلك الغرض، وقد أورد "شرويتز" طبيعة التمويل وقيمته لشهر واحد فقط، والملاحظ أنه لم يكن المال وحده الذي يرسل من الصورة، بل كذلك المهندسون والمؤمن والكساوي إلى العساكر بسوس على يد قوادهم كما يلي⁷²:

المبلغ بالأوقية	مصاريف شهر واحد
7,201	لبناء أسوار تزنييت
6,568	مؤونة الأميين المكلفين بأعمال البناء
راتب إجمالي 46,911	عسكر تزنييت المكون من 235 جندي وثمانية قواد
32,123	المؤمن المخصصة للمحلة بسوس
3,711	مصاريف نقل ألف كسوة عسكرية إلى سوس

نستنتج من الجدول أن أمر التمويل كان يهتم جل المشاريع الإصلاحية بسوس انطلاقاً من بناء سور تزنييت إلى رواتب عسكر المحلّتين بتزنييت وأيت باعمران وكذا العسكر المكلف بحراسة السواحل الجنوبية. فهل كانت مداخل الصورة كافية للقيام بهذه المهمة حتى يتم إنجاح جل المشاريع علماً أنه كان يستعان بمداخل الدار البيضاء أيضاً، وهل كانت تلك المصاريف تصرف في منافذها الأصلية. مما يحيلنا على التساؤل عن كيفية تدبير القياد المكلفين بتلك المشاريع لتلك الأموال خدمة للإصلاح؟

خاتمة

من خلال تتبعنا لأهم آليات التدبير المخزني لسوس الأقصى نهاية القرن التاسع عشر نسجل بعض الخلاصات التي تظهر تميز سياسة المولى الحسن التدبيرية والإصلاحية للمجال من قبيل:

أنه نهج سياسة قيدوية تتماشى وخصوصية المجال من تعدد القوى الاجتماعية من شيوخ زوايا ورؤساء قبائل وأسر كبرى، وتحالفات قبلية استطاع مخزنتها من خلال جعلها ممثلة عنه في مجال نفوذها.

⁷² - شرويتز دانييل، تجار الصورة...، م س، ص: 359. نقلاً عن كناش رقم 120 خ ح، لشهر واحد من سنة 1884 فقط، مع ارتفاع تكاليف الإنفاق على العسكر في سوس وتزنييت في الأشهر اللاحقة.

الببليوغرافيا

أولاً: المصادر والمراجع بالعربية:

المجموعات الوثائقية:

• وثائق الخزنة الحسنية

• وثائق مديرية الوثائق الملكية

• وثائق دار ايلينغ

المصادر والمراجع:

• ابن زيدان عبد الرحمان، "تحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس"، ج2،

الطبعة الثانية، مطابع إديال، الدار البيضاء، 1990.

• الإكراري محمد بن احمد السوسي، "روضة الأفتان في وفيات الأعيان وأخبار العين

وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان"، تحقيق حمدي أنوش. منشورات كلية الآداب

والعلوم الإنسانية، أكادير، 1998.

• السوسي المختار، المعسول، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1962. (خاصة الأجزاء

1، 3، 6، 11، 13، 14، 15، 17، 19)

• السوسي المختار، سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960.

•، خلال جزولة، ج 3، تطوان المهدية، 1959.

•، ايلينغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الطبعة الرابعة، 2005.

• الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج9، تحقيق

وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1956.

• أفا عمر، "مسالة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-

1906)" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، أطروحات ورسائل عدد1،

مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى 1988.

-، "تحولات التجارة المغربية في القرن التاسع عشر الجنوب المغربي 1830-1912، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، تحت إشراف بوطالب إبراهيم، الرباط، 2002. (نسخة مرقونة).
- أرفاك شفيق، "قيادة تمنازت بين التزام المحيط القبلي والسلطة المخزنية (1110-1352/1706-1934)", بحث لنيل دكتوراه الدولة، تحت إشراف محمد حمام، كلية الآداب أكادير 2007، (نسخة مرقونة).
- التوفيق احمد، "المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: اينولتان 1830-1912"، منشورات كلية الآداب، الرباط، الطبعة الثانية، 1983.
- التوزاني هراج نعيمة، "الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن(1290-1311/1873-1894)", منشورات كلية الآداب بالرباط، أطروحات ورسائل رقم 2، مطبعة فضالة، 1979.
- العثماني امحمد، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي: دراسة لأعراف قبائل سوس في ضوء التشريع الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فيديبرانت، الطبعة الأولى، 2004.
- الغربي محمد، "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، دار الكتاب، البيضاء، 1975.
- المحمدي علي، "مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: المجتمع الباعمراني وعلاقته بالمخزن 1786-1894"، بحث د د ع، تحت إشراف جرمان عياش، كلية الآداب بالرباط، 1985، (نسخة مرقونة).
- المودن عبد الرحمان، "البوادي المغربية قبل الاستعمار قبائل ايناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر"، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى، 1995.
- حنداين محمد، "المخزن وسوس مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة (1672-1822)", دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى 2005.

• دانييل شروتر، "تجار الصويرة: المجتمع الحضري والامبريالية في جنوب غرب المغرب (1844-1886)"، تعريب: خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة 6، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 1997.

• ناجيه عمر، "البنيات الاجتماعية والاقتصادية لقبائل وادي نون في القرن 18 و19: قبيلة أيت لحسن نموذجاً"، د د ع تحت إشراف فاطمة الزهراء طموح، مصطفى ناعيمي، كلية الآداب بالرباط، 1999-2000، (نسخة مرقونة).

• ناعيمي مصطفى، الصحراء من خلال بلاد تكنة: تاريخ العلاقات التجارية والسياسية، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.

• العلمي احمد، "حركتا السلطان الحسن الأول إلى سوس 1882 و1886"، ندوة مدينة تزنييت وياديتها في الذاكرة التاريخية والمجال والثقافة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، أكادير، 1993.

• بلحداد نور الدين، "جهود السلطان المولى الحسن في الدفاع عن سواحل الصحراء المغربية (1876-1894)"، المناهل، عدد 58، 1998.

• بومزكو أحمد، "تزنييت والمخزن 1882-1894"، مجلة المناهل، عدد 58، 1998.

• ناعمي مصطفى، "سياسة رؤساء كنفدرالية تكنة أمام التوسعات التجارية الأوروبية"، البحث العلمي، (مجلة المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط)، العدد 39، السنة 24، 1989.

ثانياً: المراجع والدراسات الأجنبية:

- Aafif Mohamed, Les harkas hassaniennes d'après l'oeuvre d'A.Ibn Zaidane, Hespéris-Tamuda, n °19 (1980-1981).
- DE Foucauld vicomte ch, Reconnaissance au Maroc (1883-1884), Librairie Coloniale, Paris, 1888.
- Erchmann Jules, Le Maroc Moderne, Paris, challamaine éditeur, lib coloniale, 1885.
- Gaudio Attilio, Le dossier du Sahara occidental, Paris, 1978.

- Gerenton, E, Les Expéditions de Moulay Hassan dans le Sous, l'Afrique Française, N 9, Septembre, 1924.
- Justinard L, Notes sur l'histoire du Sous au 19^{ème} siècle, Hesperis, Vol 6, 1926.
- Le Chatelier, Tribus du Sud-Ouest Marocain bassins Côtiers entre Sous et Draa, Publications de l'école des lettres d'Alger, Paris, 1891.
- Marty Paul, Les Tekna du Sud-ouest Marocain, Paris, 1914.
- Marty, Les Tribus de la Haute-Mauritanie, Paris 1915.
- Meunier Jacques DJ, Greniers-Citadelles au Maroc, Arts et Métiers Graphique, Paris, 1951.
- MIEGE (J .L), Le Maroc et l'Europe, Les Difficultés, Paris, PUF 1962, TOM 3,
- Montagne Robert, Les Berbère et le Makhzen dans le Sud Marocain, essai sur les transformations Politiques des berbères sédentaires, Paris, 1930 éd. Afrique et l'orient, Casablanca, 1989.
- Monteil Vincent, Notes sur Les Tekna, I H E M, Notes et Documents III, éd Larose, Paris, 1948.
- Nordman Daniel, Les Expéditions de Moulay Hassan Essai statistique, Hespérès Tamouda, vol 19, flshr, éd nord africaines ; 1980.
- Naimi Mustapha, Le Pouvoir Makhzen dans le Souss, revue Maroc Europe, hier, aujourd'hui, demain, Hassan 1^{er} : un centenaire, n°6, Ed la Porte, 1994.
- Pascon Paul, Ennaji Mohamed, Le Makhzen et le Sous Al-Aqsa (la correspondance politique de la maison d'Illigh 1821-1894), éd. Toubkal, 1988.
- Pascon Paul et autres, La Maison d'Illigh et l'histoire sociale du Tazrerwalt, éd. SMER, 1984
- Tamouh Zahra, Le Maroc et Le Soudan au 19^{ème} siècle (1830-1894), contribution à une histoire inter-régionale de l'Afrique, thèse pour le doctorat de 3^{ème} cycle, sous la direction de Yves Person.